

بسم الله الرحمن الرحيم
من حياة الأتقياء (عمر بن عبد العزيز)
الحلقة السادسة والعشرون

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام المتقين وسيد المرسلين، نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:-
أيها المستمعون الكرام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نقف في هذه الحلقة مع طرف من حياة أحد الأتقياء ، إنه الأمير الشاب ، عمر بن عبد العزيز ، الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد السيد أمير المؤمنين.

فحياة صاحبنا في هذه الحلقة مليئة بالدروس والعبر ، فقد وافته المنية وهو في عز شبابه ، في الأربعين من عمره ، وقيل دونها قليلاً . وعمر بن عبد العزيز (رحمه الله)، فهو الذي لم تصرفه الدنيا عن التقوى والورع ، وقد أقبلت عليه ، فكانت بين يديه ، ونال منصب إمارة المؤمنين ، فهو الأمير ابن الأمراء، ومع هذا كله فقد كان مضرب الورع في العبادة والزهد .

شهد له صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بحسن العبادة ، فقد أم بأنس بن مالك فقال ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى .
عرف (رحمه الله) التقوى والورع في صغره ، فقد روى ضمام بن إسماعيل عن أبي قبيل أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير فأرسلت إليه أمه وقالت ما يبكيك قال ذكرت الموت، وكان يومئذ قد جمع القرآن فبكت أمه حين بلغها ذلك .

نقل الزبير بن بكار عن العتيبي أن أول ما استبين من عمر بن عبد العزيز أن أباه ولي مصر وهو حديث السن يشك في بلوغه فأراد إخراجه فقال يا أبت أو غير ذلك لعله أن يكون أنفع لي ولك ترحلني إلى المدينة فأقعد إلى فقهاء أهلها وأتأدب بآدابهم فوجهه إلى المدينة فاشتهر بها بالعلم والعقل مع حداثة سنه قال ثم بعث إليه عبد الملك بن مروان عند وفاة أبيه وخلطه بولده وقدمه على كثير منهم وزوجه بابنته فاطمة.

أيها المستمعون الكرام ، لقد ولي عمر العزيز الإمارة وهو شاب، وقد تنبأ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بعدله ، حيث يقول : « قيل إن عمر بن الخطاب قال إن من ولدي رجلا بوجهه شتر يملأ الأرض عدلا» .

وعن مبارك بن فضالة عن عبيد الله بن عمرو عن نافع قال قال ابن عمر يا ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر يملؤها عدلا كما ملئت ظلما وجورا .

أيها المستمعون الكرام ، نتأمل الآن في حياة عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) بعد أن ولي إمارة المؤمنين ، فحديث رجاء نجد : فصلى على سليمان عمر بن عبد العزيز فلما فرغ من دفنه أتى بمراكب الخلافة . فقال دابتي أرفق لي فركب بغلته . فلم يقبل مراكب الخلافة تواضعاً منه .

وما شأن المنزل؟ يقول رجاء : ثم قيل تنزل منزل الخلافة قال فيه عيال أبي أيوب وفي فسطاطي كفاية فلما كان مساء تلك الليلة قال يا رجاء ادع لي كاتباً فدعوته فأملى عليه كتاباً أحسن إملاء وأوجزه وأمر به فنسخ إلى كل بلد.

وكان عمر بن عبد العزيز قبل ولايته حسن السياسة والتدبير مع سليمان بن عبد الملك ، قال سعيد بن عبد العزيز ولي سليمان فقال لعمر بن عبد العزيز يا أبا حفص إنا ولينا ما قد ترى ولم يكن لنا بتدبيره علم فما رأيت من مصلحة العامة فمر به فكان من ذلك عزل عمال الحجاج وأقيمت الصلوات في أوقاتها بعد ما كانت أميتت عن وقتها مع أمور جلية كان يسمع من عمر فيها فليل إن سليمان حج فرأى الخلائق بالموقف فقال لعمر أما ترى هذا الخلق الذي لا يحصي عددهم إلا الله قال هؤلاء اليوم رعيتك وهم غدا خصماؤك فبكى بكاء شديداً .

ومن مواقف الجميلة بعد توليه الخلافة ما رواه خالد بن مرداس حدثنا الحكم بن عمر شهدت عمر بن عبد العزيز حين جاءه أصحاب مراكب الخلافة يسألونه العلوقة ورزق خدمها قال ابعت بها إلى أمصار الشام يبيعونها واجعل أثمانها في مال الله، تكفيني بغلتي هذه الشهباء .

ومن الأمور العجيبة في حياة هذا الأمير الشاب سيرته مع أهله في ولايته ، فعن إبراهيم بن هشام بن يحيى حدثني أبي عن جدي قال كنت أنا وابن أبي زكريا بباب عمر بن

عبد العزيز فسمعنا بكاء فقيل خير أمير المؤمنين امرأته بين أن تقيم في منزلها وعلى حالها وأعلمها أنه قد شغل بما في عنقه عن النساء وبين أن تلحق بمنزل أبيها فبكت فبكت جواريتها .

أيها المستمعون الكرام ، ومن أجل حسن سيرته في رعيته وعدله في إمارته ، فقد عده جماعة من أهل العلم خامس الخلفاء، قال حرمله سمعت الشافعي يقول الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز وفي رواية الخلفاء الراشدون وورد عن أبي بكر بن عياش نحوه.

ولحسن سيرته (رحمه الله) فقد ظهر لها الأثر الإيجابي على الأمة ، فعن عبد الرحمن بن زيد عن عمر بن أسيد قال والله ما مات عمر بن عبد العزيز حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول اجعلوا هذا حيث ترون فما يبرح يرجع بماله كله قد أغنى عمر الناس.

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، لم يكن هذا الأمير الشاب يغفل عماله على الولايات فقد كان يتعاهدهم، فيعظهم ويذكرهم بالله ، فعن ضمرة قال كتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله أما بعد فإذا دعيتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم فاذكر قدرة الله تعالى عليك ونفاد ما تأتي إليهم وبقاء ما يأتون إليك .

ومن عجيب حرصه (رحمه الله) على مصالح الأمة فإنه يأمر بالاعتصام في الكتابة خوفاً من أن يصرف شيئاً من بيت مال المسلمين لغير حاجة ، فعن حفص بن عمر بن أبي الزبير قال كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم أن أدق قلمك وقارب بين أسطرك فإني أكره أن أخرج من أموال المسلمين ما لا ينتفعون به.

ومع عمله هذا كله ، وحسن سيرته ، وشهادة الناس له ، إلا أن العبرة كانت لا تفارقه خشية على نفسه من عدم أداء الحقوق ، فعن عمر بن ذر حدثني عطاء بن أبي رباح قال حدثني فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز أنها دخلت عليه فإذا هو في مصلاه يده على خده سائلة دموعه فقلت يا أمير المؤمنين أليس شيء حدث قال يا فاطمة إني تقلدت أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتفكرت في الفقير الجائع والمريض الضائع والعاري المجهود والمظلوم المقهور والغريب المأسور والكبير وذوي العيال في أقطار الأرض فعلمت أن ربي سيسألني عنهم

وأن خصمهم دونهم محمد صلى الله عليه وسلم فخشيت ألا تثبت لي حجة عند خصومته فرحمت نفسي فبكيت .

ولعلنا نختم هذه الحلقة بشيء من ملبسه (رحمه الله) وهو أمير المؤمنين ، قال ميمون بن مهران أقمت عند عمر بن عبد العزيز ستة أشهر ما رأيته غير رداءه كان يغسل من الجمعة إلى الجمعة .

وعن معاوية بن صالح حدثنا سعيد بن سويد أن عمر بن عبد العزيز صلى بهم الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له رجل يا أمير المؤمنين إن الله قد أعطاك فلو لبست فقال أفضل القصد عند الجدة وأفضل العفو عند المقدرة . وهكذا تكون حياة الأتقياء .

أيها المستمعون الكرام ، في الختام أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من عباده المتقين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد على آله وصحبه أجمعين ...